

حجر القبرة

« مهادة إلى صديق الأمير عمر الأيوبي »

للأستاذ خليل هندأوى

ترفعك على جناحي الشوق وتنطقك بلغة الفناء
فما أسمى هذه السكرة التي لا يتخللها صحو
وما أبدع هذا الشوق الذي لا يطفئه وصال
أنت من جفرك أيتها القبرة في صعود دائم
أنت من شوقك في وصال قائم
تمجدين الشمس قبل بزوغها وترفعين إليها صلاتك وغناك
قبل شروقها

حتى إذا لمت في الأفق ووقعت عينك على نورها الخاطف ..
فمرت إلى أطباق الأرض غاشية العينين ، واجفة الفؤاد
ألا تتمهلين قليلاً حتى تراك الشمس
وأنت في الأطباق العالية تتغنين لها
ألا تتمهلين حتى تتمتع عينك بالكوكب الساطع
ويرتاح قلبك إلى من خفق لقلبه شوقاً وحنيناً ؟
عينك لم تستطع أن تحتل شعاع « الشمس »
وقؤادك ناه بأفراخ شوقه للشوق
وفي اللحظة الأخيرة ترائي جناحك وعشيت عينك
وتدحرجت على الأرض بعد أن رقيت معارج السماء !
ألم تتذوق لذة الشروق ؟
ألم تطعمي طامام ذلك العالم العلوي ؟
ألم يكشف لك عن خزان ذلك الوجود ؟
الشوق والنقاء والويل والعناء كلها تدوب تحت لوائك
أيتها الشمس !
ما وصلك الذي تتغنين به ؟
ما شوقك الذي ملأ الفضاء
ما سكرتك الذي لا صحوة له ؟ إذا كان نور « المعرفة » لا يحمله
عينك !
أخافين احترافاً في الأضواء
أنهاين التطلع إلى نور الشمس ؟
أم تصلين كل يوم إلى الشمس ... وتقفين على بابها فإذا أطلت
تواريت من وجهها المهيب ، وآثرت أن تنحطى وتدحرجي
صامتة ساكنة
كأنك كلما صعدت مرة ذهب جزء من روحك وراءها
في الفضاء
وهكذا حتى تتوزع أجزائك كلها وتبلى المرحلة الأخيرة

كثيرون يعرفون القبرة بشكلها الرمادي الأذكن وصوتها
الرفيع المرنان ، ولكن القبرة من الطيور الغريبة في حياتها
وتأملها للحياة ... روحانية تبلغ أسمى ما تبلغه الروح ،
ومادية تعط كثيراً ؟ ففى حالتها الأولى تراها تنزرو أطباق الجور
عند منبج القبر تردد النقاء سكرى بالجمال حتى إذا بزغت
الشمس فزعت إلى الأرض تفتش عن غذائها ، ذاهلة عن غذائها ،
ومثل هذا المشهد قد يصور أحسن تصور حالة العين يرقون
إلى شمس المعرفة بأرواحهم ثم لا يقدرّون على مقابلتها فيهبون ..
فلا الأرض تهلمهم عن السماء ولا السماء تفصلهم عن الأرض ،
ولا شوقهم ينتظن ، ولا أرواحهم ساكنة ... هؤلاء هم
كهنه القبرة ؟

« خ . م »

أسمها : اسمها بعيدة عنى ، دانية منى !

أسمها يشق غناؤها الفضاء الذي تفتح جفنها

أسمها يتسلل شعاع قلبها مع شعاع الفجر !

قد أنجلت - يا قبري - غياهب الليل بمد ما ظننت أن

هذا الليل سرمد لا يزول

وازاحت عن الأفق كتاب الظلمة بمد ما خلت أن هذه

الألوان الربداء لا محول

أراك تتمنين في التحليق ...

حتى لا أرى أنامل الفجر تجذبك إليها

فإذا تركت في الجو بالأس ؟

أشيتاً تتفقدته كل مطلع فجر ؟

أم أمانة تستلنيها من الفجر ؟

أرى جناحك يرقان ويخفقان !

يربدان طوراً وطوراً يلتهبان

وصوتك المازج المرن يصمد في السماء

تسمعه الأرض قهراً قليلاً ثم يتواري كأن لم يكن شدو

ولا شاد

هي سكرة قديمة يا قبري ترفك إلى الأوج السامق